الفتح العربي الإسلامي لأقاليم بلاد المشرق - فتح مدينة نَيْسابور عام ٣١هـ ((دراسة في أحوالها الاقتصادية و العمرانية و الفكرية))

أ. م. د. فواز خلف جزاع خليل الدليمي
قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة الأنبار

المقدمة :

كان الفتح العربي الإسلامي لبلاد فارس بما فيها خرسان و كورها من الأحداث المهمة في تاريخ الرشق الإسلامي ، نظرا لما ترتب عليه نتائج بعيدة الأثر في تاريخ هذه المنطقة و حضارتها ، و مكنت العرب و الثقافة العربية في التغلب و الانتشار، و قد أصبحت خرسان تعيش تحت ظل فيء الخيمة العربية الإسلامية بعد ان كانت تشكو الاضطرابات و الفساد الاجتماعي و النظام الاقتصادي المتهرئ و عدم الاستقرار نتيجة السياسة و نظام المجتمع السائد المبنى على الظلم و الاستغلال و الاضطهاد و العبودية و أصبحت نيسابور تعد من اهم مراكز النشاط الفكري خلال القرن الثالث الهجري لما للإسلام و العرب من دور مهم في نقل المجتمع الفارسي آنذاك من التخلف و العبودية الى التطور و التقدم و الازدهار و الحياة الحرة الكريمة .

اصل التسمية :

تعد مدينة نيسابور بفتح أوله وسكون ثانيه من احسن مدن خرسان و أعظمها و أجمعها للخيرات، وقد اختلف المؤرخون في تسميتها ، فقيل : سميت بذلك نسبة الى ملك سابور الاول بن اردشير بن بايكان عندما مر بها فلما نظر اليها قال :

هذه تصلح لان تكون مدينة فأمر بها فقطع قصبها ثم كيس فبنيت فقيل لها [١] لان ملك سابور عندما أقام في مملكته حينا ، ثم غزا الروم فقتل من أهلها و سبي سبيا كثيرا فمنهم فأسكن من سبي مدينة بناها بناحية و سماها إبرانشهرسابور و بنى مدينة نيسابور [٢] و كان يقال لها في صدر العد الاسلامي ب : أبرشهر و معناه : مدينة القيم في الفارسية و كانت هذه المدينة (نيسابور) عاصمة أيرشهر سنة ٣٣٠م و اتخذها فيما بعد يزدجر الثاني مقرا لإقامته [٣] و البعض يقول أن نيسابور إبرانشهر و ان إبرانشهر هي أبرشهر و الصحيح إن إبرانشهر هي ما بين جيحون إلى القادسية و من الري الى نيسابور مائة و ستون فرسخاً [٤] حيث قال فيها أبو تمام حبيب بن أوس الطائي:

أيَا سَهَري بلَيلة أَبرَشَهر ذممَت إلي نَوما في سَواهاً [٥]

---

[١] الحميري: محمد بن عبد المنعم – " كتاب الروض المعطار في خير الاقطار" تحقيق احسان عباس ط٢ : مؤسسة ناصر للثقافة ١٩٨٠ ص٥٨٨ .

[٢] الطبري: ابي جعفر محمد جرير " تاريخ الرسل و الملوك " تحقيق محمد او الفضل ابراهيم ، مطبعة دار المعارف– مصر –١٩٦١م ، ج٢ ص٥٨

[٣] النيسابوري (الحاكم) : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصيني الطهاني . " تاريخ ينشابور بالفارسية " تلخيص احمد بن محمد المعروف بالخليفة النيسابوري تحقيق د.بهمن كريمي – مطبعة كتابخاته ابن سينا – تهران– جايخانة اتحاد صب وركز .

[٤] الحموي : شهاب الدين ابي عبد الله بن ياقوت بن عبد الله البغدادي . "معجم بغداد" مطبعة دار بيروت و صادر للطباعة ١٩٥٧ المجلد الخامس ص٣٣١ .

[٥] ابن حوقل : ابي القاسم النصيبي . "صورة الارض" مطبعة فؤاد بيبان– لبنان . بلا . ت ص٣١٣–٣٦١ .

كانت نيسابور تسمى في الفارسية الحديثة ب : نيشابور ، و هي في العربية ب : نيشابور و هو مشتق من نيوشاه بور ، ففي الفارسية القديمة ، معناه : " (شيء أو عمل موضع)" سابور الطيب . " إذ أن مؤسس نيسابور هو سابور الأول و كانت نيسابور تسمى عند العامة من الفرس ب "نشاوؤر" [٦]

الموقع :

تعد مدينة نيسابور من أهم مدن خراسان و خراسان بلاد مشهورة شرقها ما وراء النهر وغربها قوهستان [٧] وليس بخرسان مدينة اصح هواءا ولا ارحب فناءا من نيسابور وكان لها حدود واسعة ورساتيق عامرة [٨] حيث كان لها حدود مع إقليم الجرجان من الشمال وإقليم قومس في غربها وإقليم قوهستان في جنوبها [٩] وتقع نيسابور في الجانب الشرقي من سهل نصف دائري تكتنفه الجبال ويواجه المفازة وهي في جنوبه ، وان لهذا الموقع المتميز ميزة جعلت من نيسابور "سرة خرسان وغرتها وقلب لما حولها من البلاد والأقطار [١٠] و كان مقدار عرضها فرسخ في مثله [١١] و مساحتها ثلاثة أميال في مثلها وبين بطليموس في كتاب في كتاب الملحمة بأن طول نيسابور خمس و ثلاثون درجة و عرضها تسع و ثلاثون درجة خارجة من الإقليم الرابع [١٢] و تنحدر أنهارها من المرتفعات التي في شمالها و شرقها و بعد أن تسقى بساتينها تغني في المغازة و على خمسة فراسخ من شمال المدينة [١٣] .

وصف المدينة :

تقع مدينة نيسابور في أرض سهلة ، و أبنيتها طين و هي مفترشة البناء ، و مقدار عرضها فرسخ في مثله ، و لها

---

[٦] الصطخري : ابي اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخي ."مالك الممالك " مطبعة بريل –ليدن ١٩٣٧ ص ٢٥٨

[٧] القزويني :ابو عبد الله محمد بن محمود ."اثار البلاد واخبار العباد"

F. Wustenfeld Buchhaandung Gottingenim Januar 1848

[٨] الحميري : محمد بن عبد المنعم – " كتاب الروض المعطار في خير الاقطار" ص ٥٨٨

[٩] محيسن : ابراهيم اسماعيل –" الحركة الفكرية في خرسان في القرن الثالث الهجري" . بغداد ١٩٨٢ ص٣١ .

[١٠] الاصطرخي : " مالك الممالك" ص ١٤٥–١٤٦ .

[١١] الحموي : "معجم البلدان" . المجد الخامس ص٣٣١ .

[١٢] لسترنج : جي لي . "بلدان الخلافة الشرقية " نقلة الى العربية بشير فرنسيس–كوركيس عواد . مطبعة الرابطة – بغداد – ١٣٧٣هـ /١٩٥٤ م ص٤٢٨ .

[١٣]) القهندز : كلمة استخدموها جغرافي العرب و معناها (القلعة) .

مدينة و قهندز [١٤] وربض [١٥] وقهندزها و مدينتها عامرتان و مسجد الجامع في الربض بمكان يعرف بالمعسكر [١٦] و دار الإمارة بمكان يعرف بميدان الحسينيين و الحبس عند دار الإمارة من بناء عمرو بن الليث الصفار ، ولقهندزها بابان و للمدينة أربعة أبواب، فأحدها يعرف بباب رأس القنطرة، و الثاني بباب سكة معقل، والثالث بباب القهندز و الرابع بقنطرة متكين ، و قندزها خارج عن مدينتها و يحف بالمدينة و القهندز جميعا الربض ، و للربض أبواب : فأما الباب الذي يخرج منه الى العراق و جرجان فيعرف بباب القباب و الباب الذي يخرج منه الى بلخ و مرو و ما وراء النهر فيعرف بباب جيك ، و الباب الذي يخرج منه الى فارس و قوهستان فيعرف بباب احوص أباد ، و الباب الذي يخرج منه الى طوس و تساعده أبواب أخرى فمنها باب سوخته و باب يعرف بباب سرسيريس [١٧] و ليس بخرسان مدينة اصح هواءاً و افسح فضاءا و اشد عمارةً و ادوم تجارة و أكثر سابلة وأعظم قافلة من نيسابور . وفي اطراف المدينة تقع بقية الجوامع و الأسواق و الخانات و مرابض الغنم و الحمامات والمدارس و السجون و الحوانيت و الرباطات و المقابر و الفنادق و مراكض الخيل و كذلك محلاتها بينما تركت بقية مساكنها لدور السكان [١٨] كما كانت فيها الجسور و القناطر التي بنيت على الأنهر التي تشق المدينة و ذلك لربط جانبي المدينة ، و كانت المدينة مقسمة إلى أرباع وهي من التعابير الإدارية المقصور استعمالها على الخرسان .

وقال الحكماء " أن احسن الأرض مخلوقة الري و أحسنها مستخرجة نيسابور و مجرى مائها العيون" [١٩] و في وصفها قال الحموي : " لم أر فيما طَوقت من البلاد مدينة كانت مثلها" [٢٠] وكان يقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها و بساتينها و مياهها و حسنها ، و تخترقها أربعة أنهار و أسواقها حسنةَ منسقة ومسجدها بديع في وسط السوق ، وفيها من الطلبة خلق كثير يقرأون القرآن و الفقه و مدارسها من حسان مدارس تلك البلاد [٢١]

الفتح العربي الإسلامي لمدينة نيسابور :

كان الفتح العربي الإسلامي لبلاد فارس من الاحداث المهمة في التاريخ في تاريخ الشرق الاسلامي نظراً لما ترتب عليه نتائج بعيدة الاثر في تاريخ هذه المنطقة و حضارتها و مكنت العرب و الثقافة العربية في التغلب و الانتشار ، و قد كانت خرسان بما فيها مدينة نيسابور قبل الفتح الإسلامي تشكو الاضطرابات و الفساد الاجتماعي و النظام

---

[١٤]) الربض : الأطراف و الضواحي للمدينة.

[١٥] ابن حوقل : " صورة الأرض"، ص٣٦٢-٣٦٣ .

[١٦] المقدسي: شمس الدين ابو عبد الله الشافعي المعروف باليشاري . " احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" طبعة دي غويه-ليدن ١٨٧٧ م ص٢٧١ .

[١٧] أبن خرداذبة: أبي القاسم عبد الله ابن عبد الله " االمالك ولممالك " طبعة ليدن –بريل- ١٨٨٩ ص٣٥ .

[١٨] الحموي : " معجم البلدان " المجلد الخامس ص٣٣١.

[١٩] ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطبخي . " تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار " مطبعة دار الكتاب اللبناني و مطبعة دار الكتب المصري- القاهرة ص٢٥٩ .

[٢٠] محيسن : "الحركة الفكرية في خرسان في القرن الثالث الهجري" . ص٣٢ .

[٢١] القرماني: ابي العباس احمد بن احمد الدمشقي . " اخبار الدول و اثار الاول " دار الطباعة – القاهرة ١٢٩٠هـ ، ج٣ ، ص٥١-٥٢

الاقتصادي المتهرئ و عدم الاستقرار، نتيجة نظام المجتمع السائد القائم على الاستغلال و الاضطهاد و العبودية وحسب الخطة التي اتبعها العرب المسلمون أثناء فتوحاتهم و هي تأمين حدودهم و نشر دعوتهم ، فكان الفتح العربي الإسلامي بخرسان امر طبيعياً بعد استكمال تحرير العراق و فتح بلاد فارس [٢٢] فلما أستشهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نقض أهل خرسان و غدروا فلما افتتح عبد الله بن عامر فارس قام اليه حبيب بن أوس التميمي فقال له : " أيها الامير أن الارض بين يديك و لم يفتح منها الا القليل فسر فان الله ناصرك . قال : أولم تؤمر بالمسير وكره أن يظهر انه قبل رأيه ، و قيل أن ابن عامر لما فتح فارس عاد الى البصرة و استحلف على اصطخر شريك بن الأعور الحارثي ، فبنى شريك مسجد اصطخر فلما دخل البصرة أتاه الاحنف بن القيس و قيل غيره فقال له : أن عدوك منك هارب و لك هائب و البلاد و اسعة فسر فان الله ناصرك و معز دينه فتجهز و سار و استخلف على البصرة زياد و سار الى كرمان فأستعمل عليها مجاشع بن سعود السلمي و له صحبه و أمره بمحاربة أهلها وكانوا قد نكثوا ايضا و استعمل على سجستان الربيع زياد الحرثي و كانوا قد غيروا و نقضوا الصلح أيضا [٢٣] فسار عبد الله بن عامر في الخلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سنة ٣٠هـ الى مدينة نيسابور و كان اهلها من العرب والعجم و مشربها من العيون و الأدوية ، وكان خراجها يبلغ أربعة الاف درهم و هو داخل خراج خرسان [٢٤] وكان قد استخدم في مقدمته الأنف بن القيس الذي كان مهتما بفتح خرسان فدخلها و ارسل الى نيسابور و طخارستان [٢٥] وقيل ان عبد الله بن عام وسار إلى نيسابور سنة ٣٣هـ و فتح في زمن الخليفة علي بن آبي طالب (رضي الله عنه) حيث بعثَ خليد بن مرة اليربوعي فحاصر أَهلها حتى صالحوه [٢٦] الا انه أكثر الروايات التاريخية تنص على ان العرب المسلمين فتحوها في أيام عثمان (رضي الله عنه) بقيادة الأمير عبد الله عامر بن كريز في سنة ٣١هـ . فعقد صلحا وبنى بها جامحا و قيل انها فتحت في أيام عمر (رضي الله عنه) على يد الأنف بن قيس و انتقصت في أيام عثمان (رضي الله عنه) على يد الاحنف بن قيس و انتفضت في أيام عثمان (رضي الله عنه) فأرسل اليها عبد الله عامر ففتحها ثانية[٢٧] وأرسل ابن عمر يزيد بن يزيد الجرشي الى رستاق زام من نيسابور ففتحه عنوةَ ، و فتح باخرز و دوين من نيسابور ، و بعث ابن عامر الاسود بن كلثوم العلوي و كان ناكسا الى بيهق و هو رستاق من نيسابور فدخل بعض حيطان أهله من ثلمة كانت فيه و دخلت معه طائفة من المسلمين و اخذ العدو عليهم من تلك الثلمة ، فقاتل الأسود وابلى بلاءاً حسنا حتى سقط شهيدا فتسلم راية الجهاد بعده اخوه ادهم ففتح بيهق ، و توجه ابن عامر الى بشت وتمكن من فتحها ايضا و افتتح خوان و اسفراين ، و اشتدورخ وزاوة من نيسابور ثم أتى الى أبرشهر و هي مدينة

---

[٢٢] اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن اوضح . " كتاب البلدان" المطبعة الحيدرية ١٩٥٧م ص٤٢-٤٣ ..

[٢٣] البلاذري : ابو الحسن احمد بن علي جابر بن داود . " فتوح البلدان " تحقيق رضوان بيروت ١٩٧٨ م،ص ٣٩٤-٣٩٦ .

[٢٤] ابن الأثير : علي بن احمد ابي الكرم " الكامل في التاريخ" ، مطبعة دار بيروت ١٩٦٥م، ج٣ ،ص١٣-١٠٢ – ١٣٥ .

[٢٥] الحموي . " معجم البلدان " . المجلد الخامس ص ٣٣١ .

[٢٦] البلاذري : " كتاب البلدان . ص٣٩٤ – ٣٩٦ . القرماني : " اخبار الدول و أثار الاول " ، ص٥١-٥٢.

[٢٧] الاصطرخي : " مالك الممالك" ص ٣٥٤ .

نيسابور فحاصر اهلها أشهرا و كان على كل ربع منها مرزبان للفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الأرباع الأمان على أن يدخل المسلمين المدينة فأجاب إياها ليلاً ففتحوا الباب و تحصن مرزبتها في القهندز و معهم جماعة فطلبوا الأمان و الصلح على وظيفة يؤدونها فصالحهم على الف الف درهم و يقال سبعمائة درهم ، وولى نيسابور حين فتحها ابن عامر قيس بن الهيثم السلمي ، وسير جيشا إلى نس او ابيورد و هي من أرباع نيسابور فافتتحوها صلحا و سير سرية أخرى الى سرخس ايضا مع عبد الله بن خازم السلمي فقاتلوا أهلها ثم طلب الأمان و الصلح على أمان مائة رجل فأجابوا الى ذلك فصالحهم مرزبانها على ذلك و سمى مائة رجل و لم يذكر نفسه ، فقتله و دخل سرخس عنوةً و أتى مرزبان طوس إلى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم و بذلك تم فتح مدينة نيسابور و اصبحت تعيش تحت ظل الخيمة العربية الإسلامية [٢٨]

الحالة الاقتصادية :

الزراعة :

تعتبر نيسابور من أهم المدن في خرسان ذات أراضي سهلية خصبة و صالحة للزراعة ، و مساحتها فرسخ في مثله ومن يدخلها لم يزل يشم روائح طيبة حتى يخرج منها لكثرة رياحينها و أزهارها و كثرة أشجارها و تزدهر بثمار الجروم و الصرود من النخل و الزيتون و الجوز و اللوز و العنب و قصب السكر و أنهارها جارية و ثمارها دانية [٢٩]

و كان سهلها يمتاز بعدد كبير من الرساتيق [٣٠] التي كانت تتبع نيسابور وعددها أثنى عشر رستاقا لكل منها قصبة و عدد من القرى و ان كان عددها غير متساوٍ بين الرساتيق [٣١] إلا أن سهل نسابور أشتهر بأربع رساتيق و هي: الشامات " أي شامات الحسن" وريوتد و مازالت في قائمة في غرب نيسابور و مازل ويشتفرش، و كان رستاق مازال في الشمال و أكبر قراه بشتقان أو " يشتتقان " و هي على فرسخ من نيسابور وفيها انشأ عمرو الصفار بستاناً له مشهوراً [٣٢] و كانت بساتين رساق يشتفروش ذات غلة كبيرة المشمش الذي يحمل إلى سائر الأنحاء ، و كان رستاق الشامات الذي يسميه الفرس تك اب ، أي " اليه يجري الماء " [٣٣] و هذا الرستاق في غاية الخصب ، أما ريوند فمدينة صغيرة في رستاق على اسمها و هي على مرحلة غرب نيسابور ويشقها نهر و هي كثيرة الأعناب و بها سفرجل جيد لا نظير له و كانت رساتقها كثيرة و الخير واسعة الأرض[٣٤] و اكثر مياه نيسابور تخرج تحت مساكنهم و تظهر خارج البلد في ضياعهم كما تظهر قي البلد و

---

[٢٨] القزويني : " أثار البلاد و اخبار العباد" ص ٢٤٣.

[٢٩] الرستاق : مجموعة من الأراضي و القرى الزراعية .

[٣٠] البلاذي : " فتوح البلدان" ، ص٥٠ .

[٣١] الحميري : محمد بن عبد المنعم – " كتاب الروض المعطار في خير الاقطار" ص ٥٨٩ .

[٣٢] الريباس : نبات له عاليج غضة إلى الخضرة ، عريض الورق طعمها حامض ينبت في الجبال ذات الثلوج و البلاد الباردة من غير ذي زرع و في الجبال السليمانية في العراق ينبت نبات يقال له (رايوس) يشبه اليباس في طعمه .

[٣٣] الحموي : " معجم البلدان" ، المجلد الخامس ص٣٣١ .

[٣٤] لسترنج : "بلدان الخلافة الشرقية " ، ص٤٢٨.

تجري في دروبهم و بساتينهم داخل البلد و خارجا عنهم ، و لهم نهر كبير يعرف بوادي سغاور يسقي منه بعض البلد ورساتيقها الكثيرة و على هذا الوادي قوام و ليس لهم في البلد أعظم منه [٣٥] إلا أن هناك أنهارا عديدة أخرى تروي أرضهم الزراعية منها نهر شوره رود و كان يسقي رساتيق كثيرة ثم يفضي في المفازة و نهر يشتقروش وكلاهما يفيض في الربيع ، لذلك امتازت أراضي نيسابور بوفرة مياهها و خصبها [٣٦] و أشتهرت رساتيقها الأخرى مثل بيهق بزراعة الأعناب و الفواكه الأخرى ، وذلك رساتيق جوين ، بينما نجد أن سهل أسفرايين العظيم يشتهر بكثرة مزارع الارزاز الكثيرة و الأعناب و كذلك نسا و هو الوادي المعروف اليوم ب "دره كز" و يمتاز بخصوبته و كثرة زراعته و كذلك رستاق أبيورد فكانت هذه الرساتيق اكبر المراعي الطبيعية للجمال و الماعز وخصوصاً رساتيق سرخس [٣٧]

الصناعة :

تعتبر مدينة نيسابور من أهم مدن خرسان فقد اشتهرت بصناعة الثياب الحرير من النسيج و القطن و كانت تحمل الى بلاد الهند [٣٨] و كذلك صناعة ثياب القطن التي تنقل الى سائر بلدان الإسلام و الشرك لكثرته و جودته لإيثار الملوك و الرؤساء لكسوته ، اذ ليس خرج من بلد و لا ناحية كجوهريته و خاصيته ، و كان لإهل المهن و أرباب الصنائع فنادق و خانات للسكن و كانت دكاكينها مهمورة و حجرها مسكونة و الحوانيت مشحونة بالصناع كالقلائيين في سوقهم و الاساكفة و الخزانون إلى غير ذلك في أصناف أسواقهم المملوءة بذوي الصنائع منهم [٣٩]

التجارة :

ليس بخرسان مدينة أصح هواءاً و لا أرحب فناءاً و لا أشدُ عمارةً و لا أمكن تجارة من نيسابور [٤٠] فقد كانت تزدهر بالأسواق التي كانت خارج المدينة و هذا دليل على أزدهار تجارتها الداخلية . و خيرة أسواقها سوقان : أحدهما يعرف بالمربعة الكبيرة و الآخر بالمربعة الصغيرة ، وكان في خلالها خانات وفنادق يسكنها التجار بالتجارات للبيع و الشري ، فيقصد كل فندق بما يُعلم أنه يغلب عن أهله من أنواع التجارة ، و يسكن هذه الفنادق أهل اليسار ، ممن في ذلك الطريق من التجار و أهل البضائع الكبار و أصحاب الأموال [٤١] و كان في نيسابور كل صنف من أصناف التجارات التي كانت تحمل الى بلاد الهند و إلى سائر بلاد الإسلام و بعض بلدان الشرك و خاصة تجارة الحرير و القطن و الأبريسم [٤٢]

الحركة العمرانية :

---

[٣٥] الاصطرخي : " مالك الممالك" ، ص٣٥٥– ٣٥٦ –٣٥٧ . ابن حوقل : " صورة الارض " ، ص٣٦٣.

[٣٦] المقدسي : " احسن التقاسيم " ص٣٠٠–٣١٦–٣١٧.

[٣٧] لسترنج : " بلدان الخلافة الشرقية " ص٤٢٨.

[٣٨] ابن بطوطة : " تحفة النظار في غرائب الامصار و عجائب الأسفار " ص٢٥٩.

[٣٩] ابن حوقل : " صورة الأرض " ص٣٦٣ .

[٤٠] الحميري : " الروض المعطار في خير الأقطار "ص٥٨٨.

[٤١] ابن حوقل : " صورة الارض " ص٣٦٣.

[٤٢] الاصطرخي : "مسالك الممالك "ص٣٥٦–٣٥٧.

كان لنيسابور حدود واسعة ورساتيق عامرة و كانت أبنيتها من طين و هي مقترشة البناء و يوجد فيها القهندز (القلعة) ، و مدينتها كانت عامرة و كان محور نشاط المدينة دار الامارة الذي يمثل مركز السلطة و المسجد و الجامع الذي هو ملتقى الجماعات الإسلامية و مركز الحياة الثقافية و العامة [٤٣] ، مما يدل على تطور الحركة العمرانية بوجود هذه الأبنية فيها ، فكان دار الأمارة هو المكان الذي نزله و لاة خرسان حيث كان بمرو إلى أيام الطاهريين فنقلوها الى نيسابور . مما يؤكد أهمية نيسابور و نشاط الحركة العمرانية فيها و كثرة مدنها العامرة الزاخرة بالنشاط الزراعي و الصناعي و التجاري ، وهذا بطبيعته يؤثر بشكل كبير جداً على تطور البناء و العمران في هذه المدينة [٤٤] مكا بنيت الجسور و القناطر على الأنهر التي تشق المدينة وذلك لربط ما بين و كانت المدينة مقسمة إلى أرباع ، إلى أرباع ، إل أن أوسع المصادر التي في أرباع نيسابور هو الحاكم النيسابوري فبنيت حدودها و قراها و خصوصاً مدنها المهمة مثل " ريوند" و الشامات ، و مازل و يشتقروش [٤٥] كما بنيت فيها الفنادق و الحمامات و المدارس و السجون و الحوانيت و المقابر و مرابض الخيل و كانت مساكنها و محلاتها من حيث البناء مفترش و كانت تمتاز بمدارسها الأربعة التي تلي المسجد البديع الذي يقع في وسط السوق [٤٦] كما كانت مجاري الماء تعبيرا عن تطورها العمراني حيث كانت تحت الأرض و بعضها مغطاة و البعض الآخر يظهر في خارج المدينة و يروي البساتين و البعض الآخر يمد الدور بالماء و كانت هذه المجاري على الأعماق متفاوتة تفاوتاً كبيراً و قال فيها أصحب النوادر : ما كان أبهى مدينة بنيسابور لو أن مجاري الماء فيها أصبحت ظاهرة فادخلها أهلها تحت الأرض ، كان على هذه المجاري قوام وحفظة [٤٧] الحركة الفكرية في نيسابور مركزا بارزا في خرسان خلال القرن الثالث الهجري و ما بعده ، فقد كانت مركزا لحركة فكرية نشطة .و قد خرجت غير واحد من رجال العلم تلقبوا بألقاب علمية تتوزان مع تلك المنزلة و التي جذبت اليهم أئمة الدنيا من الامصار ، فمن العلوم التي أزدهرت في نيسابور علوم القرآن الذي برز فيه اكثر من واحد منهم الفضل بن شاذان ابن الخليل الازدي و في علم الحديث برز فيه ابو اسحاق ابراهيم بن نصير المطوعي و برز في علم الفقه العالم ابو بكر يحيى بن يحيى النيسابوري أما في مجال اللغة فمن علمائها ابو عبد الرحمن بن محمد بن هاني النيسابوري و كذلك تطورت علوم الجغرافية و التاريخ فقد ازدهرت حركة التأليف فمثل نجد أن محمد بن حبيب ابو القاسم النيسابوري صنف كتاب التاريخ بغداد أما في الجغرافية فقد صنف احمد بن الطيب الرضي كتاب المسالك و الممالك . و كذلك تطورت العلوم العقلية في نيسابور فقد شهدت علوم الفلسفة و الطب و الرياضيات و الفلك و النجوم تطوراً كبيرا و برز من علمائها العالم الموسوعي احمد بن محمد مروان الرضي ، و ابو الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن عمر بن محمد من أهل نسا (ت٢٩١هـ) و كان مشهوراً في الفلك [٤٨] ومن الأسماء اللامعة بالفقه و الكلام و

[٤٣] ابن حوقل : " صورة الأرض " ص٣٦٣.

[٤٤] الاصطرخي : " مسالك الممالك "ص٢٥٨.

[٤٥] الحاكم النيسابوري : " تاريخ نيشابور "ص١٣٨-١٣٩.

[٤٦] الحديثي : قحطان عبد الستار ، " خرسان في العهد السامانى" ، رسالة دكتوراه – بغداد ١٩٨٠ ص١٩٤-١٩٥.

[٤٧] متز : آدم " الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري " . نقله الى العربية " محمد عبد الهادي ابو ريدة " مطبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٥م ط١ ، ص٢٧٧ .

[٤٨] محيسن : "الحركة الفكرية في خرسان في القرن الثالث الهجري "ص١٣١- ١٧٥ .

علوم الدين و القرآن و هو العالم الفضل بن شاذان بن الخليل الازدي النيسابوري و كان أحد أعلام الآلام المفكرين ، و في علم الدين و الفقه و الاثار و القرآن (الفضل بن شاذان) عاش حتى أوسط القرن الثالث الهجري، فقد أخذ علمه من الأمام (علي الرضا) ت عام ٢٠٢هـ و عن الأمام محمد الجواد المتوفي عام ٢٢٠هـ ، و يستفاد من بعض النصوص عن و فاته كانت (٢٦٠هـ) و كان والده من تلاميذ يونس بن عبد الرحمن المتكلم الفقيه الأمامي المتوفي عام (٢٨٠هـ) و الفضل النيسابوري عربي ينتمي إلى قبيلة (الأزد) العربية ، و يعد ابن شاذان من ائمة علوم القرآن ، و قد نقل عنه ابن النديم فصلاً كبيرا في باب (ترتيب السور) ووصفه ابن نديم بالرازي و كانت آراءه الكلامية تحتل شطرا مثبوتا في كتب التاريخ و الأدب و اشتهر (ابن شاذان) بمركزه العلمي و الديني و بمكانته الاجتماعية و بإنتاجه الخصب و بآثاره و مؤلفاته التي عالج فيها مواضيع الساعة التي طغت في ذلك العهد على تفكير المجتمع الأسلامي . و كانت مؤلفاته تحيط بجميع الحركات الفكرية و المذهبية و له مؤلفات تحصى بمائة و ثمانين كتاباً ، و قد عني عناية كبيرة في تزيف الفرق المنحرقة ووضع كثيرا من كتبه للرد عليها مثل :

الرد على اهل التعطيل

الرد على الغالية المحمدية

الرد على الفلاسفة

الرد على المرجئه ، كما وضع كتباً في مواضيع كلامية كانت تقوم حولها المناقشات منها ١– كتاب الوعيد ٢– كتاب الاستطاعة ٣– التوحيد في كتاب الله ،ومن مؤلفاته

١– كتاب العروس

كتاب العلل

كتاب محبة الاسلام

كتاب السنن في الفقه

٥– كتاب مسائل البلدان .

و له ايضا كتب في الطلاق منها :

السنن في الفقه و في التفسير و سوى ذلك من الأغراض [٤٩]

نهاية مدينة نيسابور :

لقد تدهورت أحوال المدينة و أصابها الخراب بعد زلزال سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م [٥٠] إلا انها حلت عليها مصيبة عظيمة و هي نهب عساكر الغز لها سنة ٥٤٨م ، حيث أسروا الملك سنْجرالسلجوقي و ملكوا اكثر خرسان و قدموا نيسابور و قتلوا كل من وجدوا و نهبوا أموالهم حتى لم يبقى فيها من يعرق و خربوها و أحرقوها ثم أختلفوا فهلكوا ، و أستولى عليها أحد المماليك سنجر فنقل الناس إلى محلة فيها يقال لها شاذياخ و عمرها و سورها و تقلبتبها بها الأحوال حتى عادت أعمر بلاد الله و أمنها و أكثرها خيراً و أهلاً و أموالاً لأنها دهليز الشرق و بقيت على ذلك سنة ٦١٨م حيث أستولى عليها المغول بقيادة جنكيزخان و نهبوها و أستواوا على بلاد خرسان و بعد غزو المغول لها هرب منهم محمد ابن تكش بن الب ارسلان خوازم شاه و كان السلطان المشرق كله الى باب همذان و تبعوه حتى أفضى به الأمر إلى أن مات طريداً بطبرستان في قصة طويلة و اجتمع أكثر أهل خرسان الغرباء بنيسابور و حصنوها

[٤٩] نعمة : الشيخ عبد الله " فلاسفة الشيعة حياتهم وآرائهم " ، مطبعة دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٣٠ ، ص٣١٩.

[٥٠] لسترنج : " بلدان الخلافة الشرقية " ، ص٤٢٦.

بجهدهم فنزل عليهم قوم من هؤلاء التتار فامتنعت عليهم ثم خرج مقدم الكفار " الثار" يوماً ودنا من سور المدينة فرشقه رجل من نيسابور بسهم فقتله فجرى التتار بخيولهم و انصرفوا إلى ملكهم الأعظم جنكيزخان و كان المقتول زوج ابنته فنازلها وجد في قتال من بها فزعم القوم أن علوياً كان متقدم على أحد أبوابها و راسل المغول على تسليم البلد بشرط أن يكون متقدما فيه فأجابوه إلى ذلك ففتح لهم الباب و كان أول من قتل و من معه ونصبوا عليه المجانيق حتى أخذوها فقتلوا كل من كان فيها من صغير أو كبير و أمرأة و صبي ثم خربوها والحقوا بالأرض فلم يبقى بها حائط قائم [٥١]

المصادر الأولية

ابن الأثير : (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): علي بن احمد الكرم " الكامل في التاريخ " . مطبعة دار بيروت ١٩٦٥ ، ج٣ ص١٣-١٠٢-١٣٥ .

ابن بطوطة: (ت٧٧٩هـ/١٣٧٨م): " محمد بن عبد الله بن ابراهيم الطبخي ." تحفة النظار في غرائب الامصار و عجائب الأسفار " مطبعة دار الكتاب اللبناني و مطبعة دار الكتاب المصري – القاهرة ص٢٥٩.

ابن حوقل: (ت٣٦٧هـ/٩٧٩م): ابي القاسم النصيبي . "صورة الأرض" مطبعة فؤاد بيبان-لبنان .بلا . ت ص٣١٣-٣٦١.

ابن خرداذبة : (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) : ابي القاسم عبد الله ابن عبد الله " المالك و الممالك " طبعة ليدن –بريل- ١٨٨٩ ص٣٥ .

الاصطرخي : (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) : ابي الأسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخي . " مالك الممالك" مطبعة بريل-ليدن ١٩٣٧ص٢٥٨.

البلاذي : (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) : ابو الحسن احمد بن علي بن جابر بن داود. "فتوح البلدان" تحقيق رضوان بيروت ١٩٧٨ م ص٣٩٤-٣٩٦ .

الحموي : (ت٦٢٦هـ) : شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي . "معجم البلدان" مطبعة دار بيروت و صادر للطباعة ١٩٥٧ ج ٥ ، ص٣٣١ .

الحميري: (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): ابو جعفر محمد بن جرير " تاريخ الرسل و الملوك " تحقيق محمد ابو الفضل ابرهيم، . مطبعة دار المعارف- مصر-١٩٦١م ، ج٢ص٥٨ .

الطبري : (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) : ابو جعفر محمد بن جرير " تاريخ الرسل و الملوك" تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، مطبعة دار المعارف – مصر-١٩٦١ ج٢، ص٥٨ .

١٠- القرماني : ابي العباس احمد بن احمد الدمشقي " اخبار الدول و أثار الاول " دار الطباعة – القاهرة ١٢٩٠هـ ، ج٣ ص٥١-٥٢ .

١١- القزويني: (ت٦٢٨هـ/١٢٨٣م) : ابو عبد الله محمد بن محمود .

"اثار البلاد واخبار العباد" ، ص٢٤٣

F. Wustenfeld Buchhaandung Gottingenim Januar 1848

١٢- المقدسي: (ت٣٨٨هـ/٩٧٧م): شمس الدين ابو عبد الله الشافعي المعروف باليشاري. " احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " طبعة دي غويه-ليدن ١٨٧٧ م ص٢٧١ .

[٥١] الحموي : " معجم البلدان " . المجلد الخامس ص٣٣٢.

١٣- النيسابوري (الحاكم) : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصيني الطهاني . " تاريخ ينشابور بالفارسية " تلخيص احمد بن محمد المعروف بالخليفة النيسابوري تحقيق د.بهمن كريمي – مطبعة كتابخاته ابن سينا – تهران- جايخانة اتحاد صب وركز .

١٤- اليعقوبي : (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م) : احمد بن ابي يعقوب بن واضح . " كتاب البلدان" المطبعة الحيدرية ١٩٥٧م، ص٤٢-٤٣ .

المصادر الحديثة

الحديثي : قحطان عبد الستار . " خرسان في العهد الساماني " . لرسالة دكتوراه – كلية الآداب – بغداد ١٩٨٠ ص١٩٤-١٩٥ .

لسترنج : جي لي " بلدان الخلافة الشرقية " نقله الى العربية بشير فرنسيس – كوركيس عواد . مطبعة الرابطة – بغداد -١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م ص٨٢٨ .

متز .آدم . " الحضارة الإسلامية في القرن الرابه الهجري". نقله الى العربية " محمد عبد الهادي ابو ريدة "، مطبعة دار الكتاب العربي– بيروت ١٩٧٥م ، ط١ ص٢٧٧ .

محيسن : ابراهيم إسماعيل . " الحركة الفكرية في خرسان في القرن الثالث الهجري " بغداد –١٩٨٢م ، ص٣١ .

نعمة : الشيخ عبد الله . " فلاسفة الشيعة حياتهم و آرائهم " مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٣٠م ، ص٣١٩ .